الـــــديـــــك....

محمد جميل شلش

كلنا نعرفُ
أنَّ الدِّيك إسمٌ
جَمْعُهُ المألوفُ للناس:
ديُوكْ.
وإذا ما استظرفُوا اللَّفظَ:
فأدْياكٌ،
وحيناً ديكَهْ.
هكذا يجمعهُ الناسُ
رَعاعاً وملوكْ.
وإذا صغَّرَهُ القاموسُ
للتحبيب
أو صغَّرهُ القاموسُ
للتحقير
سمَاهُ: دُوَيْكْ.
وإذا كَنَاهُ، سمّاهُ:
أبُو حَسّان،
أوْ نَبْهانْ،
أوْ يَقْظان.. لا فرقَ
لأنَ الديكَ في معْناهُ:
ديكٌ...
دونما فلسفةٍ أو فَذْلَكَهْ..
ولأنَ الدِّيكَ
يبقى
لفظةً
تُسْحَبُ أحياناً
لمعنى ذَكَرٍ
من أيِّ جنْسٍ
طائرٍ
أو سائرٍ
هَيْمَنَ بالقوة
أو سادَ بها جنْساً،

دجاجاً كانَ
أمْ كانَ بَشَرْ.
كُلّنا نعرفُ
معنى الدِّيكِ في القاموس
لكنَّ لمعناه
معاني
وكنايات أُخَرْ.
غيرَ أنّي
لَسْتُ أعْني الدِّيكَ
ديكَ الجنِّ
أُستاذَ أبي تمّام
في الشِّعْر
فقدْ أعْنيه أحياناً
وقدْ أعْني سواهْ.
هكذا
يبدو ليَ الدِّيك
كما يبدو
لمنْ يُوغلُ في نَبْضِ القواميس
ويَسْتَبْطِنُ منْ أعماقها
نبضَ الحياهْ.
وسواءٌ
كانَ معنى الدِّيكِ
للتلقيح في الحقلِ
أو الزينةِ في البيتِ
وحتى لسواد الشعبِ والأُمَّة،
فالدِّيك
لَدَيْه عنفوانُ الكبرياءْ.
ولَدَيْه نَرْجسيّاتُ جميعِ الأدْعياءْ.
ولَدَيْه الزَّهْوُ
والإحساسُ بالوقتِ
صباحاً أو مساءْ.

ولَدَيْه رغبةٌ عارِمَةٌ
أنْ يشتهي
كُلَّ دجاجِ الحقلِ
أنّى شاءَ
أوْ حيثُ يشاءْ.
غيرَ أنّي
لَسْتُ أعْني
مرةً أُخرى
بهذا الدِّيك
ديكَ العاشقينَ السُّفَهاءْ.
فَهوَ في المدْجَنِ،
رومياً
وهنديّاً
وَعُرْبيّاً
سواءٌ بِسَواءْ،
ليسَ يَحْنُو
مثلما تَحْنُو
على صيصانها الأُنْثى
ولا يُؤْثِرُ
أوْ يَختار زوجاً واحدهْ،
مثلما تُختارُ للحُبِّ إناثُ الآخَرينْ.
وهو في ذا عادلٌ
يَصْعُبُ أنْ يُشْبِهَهُ في الحبِّ
كُلُّ العادلينْ.
كُلُّنا نَعْرِفُهُ
إنْ كانَ ديكاً... أوْ دُوَيْكاً
فهوَ في الحقلِ
أو البيت
لهُ الرغبةُ
في إقلاقِ نَوْمِ النَّائمينْ
مُعْلِناً إشْراقَ فَجرٍ كاذبٍ

قبلَ أوانهْ،
مُوقناً أنَّ به يبدأُ فجرُ الكادحينْ.
رافلاً
منتفخاً
مثلَ أبي زيد زمانهْ.
أوْكَمَنْ أنْجَبَ طفلاً ذَكَراً
في أيِّما عائلةٍ
ليسَ لها غيرُ الإناثْ.
أوْ كَمَنْ حازَ على جائزةِ الإبداع
في الشعر المُقَفَّى والمصَفَّى... أوْ سواهْ.
غيرَ أنّي
لستُ أعْني جازماً
بالدِّيك
ديكَ الْجنِّ
فَحْلَ الشعراء الماجنينْ.
فَلَقَدْ أعْنيه أحياناً
وقدْ أعْني به ديكَ الدّميريِّ[1]
الذي زَلَّتْ به رِجْلاه
عنْ حائطِ أهْليه... فَتاهْ.
وَلَقَدْ أعْني هَيُولاه
وَقدْ أعْني به كُلَّ ديوكِ الآخَرينْ.
كُلُّنا نعرفُهُ:
ديكُ القواميس
وَديكُ الناس
في كُلِّ زمانٍ ومكانْ
نصْفُ دكتاتور طغيان
وَبَطْشٍ وعنادٍ وغرورٍ وازْدِهاءْ
غيرَ أنَّ الدِّيكَ
يبقى اللَّفْظَ والرَّمْزَ
ولا أعْني به ديكَ طواويس الغَباءْ.

بغداد

* ـ يقول الدميري عن الديك: «الديكُ أبلهُ الطبيعة، فإذا سقط عن حائط لم تكن له هداية ترشده إلى أهله».